

## فتح القدير

10 - { قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم } لما نفي سبحانه المساواه بين من يعلم ومن لا يعلم وبين أنه { إنما يتذكر أولو الألباب } أمر رسوله A بأن يأمر المؤمنين من عباده بالثبات على تقواه والإيمان به والمعنى : يا أيها الذين صدقوا بتوحيد الله أتقوا ربكم بطاعته واجتناب معاصيه وإخلاص الإيمان له ونفي الشركاء عنه والمراد قل لهم قولي هذا بعينه ثم لما أمر الله سبحانه المؤمنين بالتقوى بين لهم ما في هذه التقوى من الفوائد فقال : { للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة } أي للذين عملوا الأعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الإخلاص حسنة عظيمة وهي الجنة قوله : { في هذه الدنيا } متعلق بأحسنوا وقيل هو متعلق بحسنة على أنه بيان لمكانها فيكون المعنى : للذين أحسنوا في العمل حسنة في الدنيا بالصحة والعافية والطفر والغنية والأول أولى ثم لما كان بعض العباد قد يتعرّض عليه فعل الطاعات والإحسان في وطنه أرشد الله سبحانه من كان كذلك إلى الهجرة فقال : { وأرض الله واسعة } أي فليهاجر إلى حيث يمكنه طاعة الله والعمل بما أمر به والترك لما نهى عنه ومثل ذلك قوله سبحانه : { ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها } وقد مضى الكلام في الهجرة مستوفى في سورة النساء وقيل المراد بالأرض هنا : أرض الجنة رغبهم في سعتها وسعة نعيمها كما في قوله : { جنة عرضها السموات والأرض } والأول أولى ثم لما بين سبحانه ما للمحسنين إذا أحسنوا وكان لا بد في ذلك من الصبر على فعل الطاعة وعلى كف النفس عن الشهوات وأشار إلى فضيلة الصبر وعظيم مقداره فقال : { إنما يوفى الصابرون أجراهم بغير حساب } أي يوفيهم الله أجراهم في مقابلة صبرهم بغير حساب : أي بما لا يقدر على حصره حاصل ولا يستطيع حسابه قال عطاء : بما لا يهتدي إليه عقل ولا وصف وقال مقاتل : أجراهم الجنة وأرزاقهم فيها بغير حساب والحاصل أن الآية تدل على أن ثواب الصابرين وأجراهم لا نهاية له لأن كل شيء يدخل تحت الحساب فهو متناه وما كان لا يدخل تحت الحساب فهو غير متناه وهذه فضيلة عظيمة ومثوبة جليلة تقتضي أن على كل راغب في ثواب الله وطامع فيما عنده من الخير أن يتتوفر على الصبر ويزم نفسه بزمامه ويقيدها بقيده فإن الجزء لا يرد قضاء قد نزل ولا يجلب خيرا قد سلب ولا يدفع مكروها قد وقع وإذا تصور العاقل هذا حق تصوره وتقله حق تعلقه علم أن الصابر على ما نزل به قد فاز بهذا الأجر العظيم وظفر بهذا الجزء الخطير وغير الصابر قد نزل به القضاء شاء أم أبى ومع ذلك فاته من الأجر ما لا يقادره قدره ولا يبلغ مداه فضم إلى مصيبيته مصيبة أخرى ولم يظفر بغير الجزء وما أحسن قول من قال : . ( أرى الصبر محموداً وعنده مذاهب ... فكيف إذا ما لم يكن عنه مذهب ) .

( هناك يحق المصير والمصير واجب ... وما كان منه للضرورة أوجب )